

فاعلية اللغة في الحملة الانتخابية

The effectiveness of language in the election campaign

بلعربي حفيظة¹ زاوي مصطفى²¹ جامعة وهران 2 hafidabelarbi@hotmail.fr² جامعة وهران 2 profzawi@hotmail.fr

تاريخ الاستلام: 2019/10/05 تاريخ القبول: 2019/11/14 تاريخ النشر: 2020/01/05



ABSTRACT:

ملخص البحث

We can say that researchers and thinkers give a large account to the research in the language references , in the sense that it has a great value in man's life, considering it the first way in the thinking and communicating processes, and their continuous care to invistigate the secrets of language and making it the centre interest of different branches. The political sociology is considered one of the important sciences that depends on the language as a container of thinking , that is to say that thanks by it , We can give different addresses in a form of language expression. And we consontate on it considering it on of the strongest factors, that join the society members. Politicians also depend on it in their work to apply the political policy. And that appears, for example, in the elections compaigns, in wich they can plan the programmes according to the circumstances of the society in order to relize its aims .

keywords; language, linguistic sociology, Elections, election's compaign.

يعطي الباحثون و المفكرون مجالا واسعا للبحث في دلالات اللغة، من منطلق إدراكهم لقيمتها في حياة الإنسان و باعتبارها السبيل الأول في عملية التفكير و التواصل، و حرصهم المتواصل على كشف أسرار اللغة طور من الدراسات اللغوية، و جعلها من اهتمام الكثير من التخصصات. يعتبر علم الاجتماع السياسي من بين العلوم التي تركز على اللغة كوعاء حاوي للفكر، حيث يتم من خلالها تمرير الخطابات المتعددة في إطار تعبير لغوي، كما يتم التركيز عليها باعتبارها من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع ويعتمد عليها إطارات الطبقة السياسية من أجل إرساء معالم النظام السياسي. كلمات مفتاحية : اللغة، علم الاجتماع اللغوي، الانتخابات، الحملة الانتخابية.

مقدمة :

جعلت حاجة الاتصال بين الناس علم اللغة يرتبط ارتباطا وثيقا بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة و علم الاجتماع السياسي بصفة خاصة، فأصبح علم اللغة " العلم الذي يكشف عن العلاقة بين اللغة و الحياة الاجتماعية"¹، فهناك علاقة وطيدة بين اللغة و المجتمع، إذ ترتبط هذه الأخيرة بكل مجالات الحياة الاجتماعية، و تصيب بنية اللغة مجموعة من التغيرات من أجل تحقيق وظائفها الاجتماعية و لهذا تعتبر اللغة ظاهرة اجتماعية، فهي نتاج للإحتكاك: الاجتماعي و من أقوى العوامل التي تربط أفراد المجتمع، الدراسات التي تأخذ من اللغة موضوع للبحث تفرض علينا ربطها بالسياق

¹ المؤلف المرسل: بلعربي حفيظة

الاجتماعي حتى تفهم معناها الحقيقي وتعطي التفسير الحقيقي للبنية الذهنية، إذ يفرض السياق الاجتماعي نفسه في دراسة الظواهر المختلفة بما فيها اللغة باعتبارها العنصر الجوهري للتواصل و عليه الإشكال المطروح: كيف يكون الارتباط وثيقا بين اللغة و السياق الاجتماعي؟ بمعنى هل هل هناك علاقة بين اللغة و الحياة الاجتماعية؟ حاولنا من خلال الحملة الانتخابية إدراك الدور البارز للغة في عملية التأثير، و سنحاول التعرف على فاعلية هذه الأخيرة في العملية الانتخابية و بالضبط الحملة الانتخابية باعتبارها مرحلة أساسية تسبق يوم الاقتراع ، و مرجعية السلوك الإنتخابي بصفة عامة وفق ما تعتمده من أساليب لتوجيه هذا الأخير الذي يخضع إلى الكثير من الحسابات و الرهانات.

تخضع العملية الانتخابية للكثير من الحسابات، و كلها تأخذ من العوامل المحيطة بالناخب قاعدة لمنطقتها، فالموضوع مرتبط بمواضيع الاتصال السياسي و التي تعتبر معقدة لحد ما، " كونها موضوع الاتصال السياسي كموضوع بحث يعاني من التجزئة و التعدد، إضافة إلى تعدد نماذج البحث و التفسير، كما تتعدد الرهانات الرمزية حول الموضوع".¹

يعرف الاتصال السياسي بأنه كل التقنيات التي يستعملها الفاعلين السياسيين في ميدان الاتصال السياسي للتواصل مع الناخبين و المحكومين، و هدف هذا الأخير مرتبط بتحقيق الصالح العام فتبادل الحجج و البراهين الإقناعية لا يمكن أن يكون لها معنى دون مراعاة المصلحة العامة.

ما يمكن إستخلاصه من النماذج النظرية التي حاولت تحليل الظاهرة الاتصالية، تبقى هيمنة الأنموذج السلوكي واضحة على بحوث الاتصال السياسي، فهو الأنموذج الذي وفق إلى حد كبير في تأطير البحوث المرتبطة به، كما تستند العديد من الأطر النظرية الأخرى إلى مفاهيمه و فرضياته، و أكد ذلك Ellili Katz، " النماذج كلها ما زالت تبحث عن صياغة نظرية وافية لمفهوم التأثير"²، ما يتم الإشارة إليه أن موضوع الدراسة يبقى متداخل من حيث البحث و التدقيق لتعدد المفاهيم و تداخلها في مجال الاتصال السياسي، و كون الحملة الانتخابية أحد مواضيع هذا الأخير فصفا التعقيد جزء من خصائصها سنحاول التطرق إلى توضيح بعض المفاهيم ذات علاقة.

العملية الانتخابية: "هي مجموعة من الإجراءات و الأعمال القانونية و المادية التي تؤدي بصورة رئيسية إلى تعيين الحكام من قبل أفراد الشعب"³.

الإنتخاب: " هو اختيار مرشح الى منصب في الدولة من قبل الناخبين و هو إجراء قانوني منظم يختار بمقتضاه شخص لرئاسة او مجلس نيابي او جمعية او غيرها"⁴ كما يعرف على انه اختيار شخص من بين عدد من المترشحين ليكون نائبا يمثل الجماعة التي ينتهي اليها، و كثيرا ما يطلق على الانتخاب اسم الاقتراع ، أي الاقتراع على اسم معين⁵ ، فالإنتخاب عملية يقوم بها المواطنون بشكل دوري في إطار قانوني معلوم من أجل اختيار ممثلهم لاستلام مناصب في السلطة. السلوك الانتخابي: هو مجموع العمليات المادية و الرمزية التي تصدر عن الناخب، خلال الفترة الانتخابية من أجل تأكيد مشاركته في العمل السياسي، فهو تفكير و تواصل من أجل تحقيق الذات.

فاعلية اللغة: الدور الناجع للغة في تحقيق الهدف المنشود، من خلال الفكرة التي يتم توصيلها للمتلقي بمعناها الحقيقي دون تأويلات.

1- الأشكال اللغوية ودلالاتها التعبيرية:

يستخدم الإنسان اللغة استخداما شعوريا و لكل ما ارتبط بها من عمليات ذهنية تأهله للتمييز بين الصواب و الخطأ في مختلف مجالات الحياة، حيث تنظم الأعمال الفكرية بوسائل تعبيرية لفظية، و تبرز اللغة كأداة ضرورية لتحقيق التواصل، من منطلق أنها ظاهرة اجتماعية تكون الرابطة الاجتماعية، و هي مستقلة عن أفراد

المجتمع، يقول دوسوسير " توجد اللغة لدى المجموعة الناطقة بها على شكل آثار مترسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريبا وتكون جميع نسخه المتماثلة موزعة بين الأفراد، فهي إذن أشبه ما تكون بشيء موجود عند كل فرد، وهي مشتركة بين الأفراد جميعا و متموضعة خارج إرادتهم"⁶. تعتبر اللغة مؤسسة اجتماعية تختلف عن بقية المؤسسات كونها تخص جميع أفراد المجتمع، يظهر الفرق بين اللغة كمؤسسة اجتماعية و المؤسسات الاجتماعية الأخرى من منطلق أن الرموز اللغوية غير معللة، في حين القوانين المرتبطة بالمؤسسات الأخرى خاضعة لطبيعة ترابط الأشياء ففوة تماسك أفراد المجتمع ببعضهم البعض يتوقف على قوة الروابط، وهذه الأخيرة تجعل من الدور الاجتماعي للغة فعالا وهاما.

ترتبط الأشكال اللغوية بمواضيع خاصة، كما قد تختلف في الكثير من المجالات، و هي بذلك تعطي لنفسها أسلوب خاص بالموضوع الذي ترتبط به، حيث يعطي هذا الأخير قدرة التصرف في العبارات و التراكيب توافقا و الفكرة المراد توصيلها للمتلقين أو الهدف المنشود و يظهر ذلك واضحا في الحملات الانتخابية أين يسعى كل مرشح لتحقيق الفوز من خلال تخطيط برنامج هادف من صلب الظروف المعاشية، و تكون اللغة هي المحور الأساسي الذي يتم من خلاله توصيل الفكرة و درجة التأثير التي تكون قوية في الأسلوب المعتمد كقوى ضاغطة حيث " الكلام يعبر و الأسلوب يبرر"⁷، يشكل نسق الإشارات و الرموز أداة للمعرفة، و منه سهولة توصيل الفكرة مما يحقق التفاهم بين الأفراد داخل المجتمع.

ترتبط اللغة إرتباطا وثيقا بالتفكير، فهو القالب الذي تصاغ فيه الأفكار، و من خلاله تحقق الفكرة وجودها الواقعي، فاللغة حسب هذا المنطق نظام معقد للتواصل، و يتطلب إستخدامها قدرة التحكم في نظامها. يهتم علم الاجتماع بدراسة الظواهر الاجتماعية كونها نتاج تفاعل الأفراد مع بعضهم البعض، حيث أن " الظاهرة الاجتماعية تفرض على الشخص الذي يريد تحقيق هدف معين في المجتمع أن يستعمل اللغة الدارجة في الوسط الاجتماعي التي يفهمها العام و الخاص و ذلك قصد التأثير في المتلقي و جعله يقوم بالسلوك المراد تحقيقه"⁸، التعريف يبرز دور اللغة الفعال في التأثير على المتلقي و تحقيق السلوك المراد تحقيقه و هذا مرتبط أساسا بالعملية الانتخابية أين يكون الهدف واضحا و طبيعة السلوك المراد تحقيقه واضحة أيضا و هي كسب العديد من الأصوات، هذه النتيجة تتطلب من المرشح القوة و الفهم الجيد للمجتمع، من أجل انتقاء أشكال لغوية محددة، و يكون لهذه الأخيرة دلالات تعبيرية واضحة و هادفة، من بينها سهولة التواصل من منطلق المعرفة الجيدة للمجتمع، الدلالات المتعددة للغة تفرض على المرشح في الإنتخابات الإنتقاء للكلمات و العبارات بما يحقق الإقناع، و يكون هذا الإقناع وفق الأسلوب الاتصالي الهادف، فالمرشح في الإنتخابات سواء كانت رئاسية، برلمانية أو محلية يتعامل مع كافة شرائح المجتمع، بكل ما تتميز به من خصائص اجتماعية و ثقافية، و هذا ما يعطي المجتمع خصوصيات ذاتية تختلف عن المجتمعات الأخرى و إن كانت تتشابه في الكثير من الخصائص، هذه الميزة تعتبر ضرورية لتسطير حملة إنتخابية تراعي الأرضية المجتمعية، فإسترداد النماذج و القيام بإسقاطات لها في بئة مغايرة كثيرا ما يؤدي إلى خلل في فهم السياق الحقيقي للظاهرة محل الدراسة، و قد أشار إلى ذلك بلغيث سلطان⁹ حيث أن إسترداد النماذج بما فيها النظريات أدى إلى هفوات جمة على المستوى الإجرائي و لاسيما عندما يتعلق الأمر بدراسة المشكلات الاجتماعية، " فهو يرى أنها ستلحق تشوهات بواقعنا الاجتماعي، حيث أن مواصلة الاتكال على أطروحات غربية أو استشراقية، أقل ما يمكن أن توصف به أنها غير موضوعية، و لا تنطلق من فهم مباشر للواقع العربي"¹⁰. يشير التعريف إلى أنه مهما وفقت النظريات المعتمدة في الدراسة تبقى قاصرة إلى حد ما في الفهم الحقيقي لمجتمع البحث، كون هذه الأخيرة لا تنبثق من رحم المجتمع الأصلي و إنما تعتمد التقارب و التشابه بين المجتمعات، و محاولة التوفيق في الكثير من الأحيان لأنها ذات بيئة مغايرة تختلف من حيث الثقافة و الخصوصية، و بإعتبار اللغة ظاهرة اجتماعية فدراستها

تتطلب التركيز على السياق الاجتماعي الخاص، و من منطلق فهم هذا الأخير تكون اللغة المعتمدة في الحملة الانتخابية لغة واضحة و مفهومة، إضافة إلى تحقيقها للهدف المراد، و يكون ذلك وفق خطاب المرشح و الذي يتميز بالنعمية، فدلالات اللغة التعبيرية تختلف حسب السياق الذي تعتمد فيه، و تؤثر في المجتمع كما تتأثر هي الأخرى به ، فالعلاقة بين المجتمع و اللغة علاقة تكاملية.

2- الخطاب النفعي البراغماتي:

يعتبر الخطاب وسيلة الاتصال الشفوية بين أفراد المجتمع، و محور العملية الاتصالية بين المرسل و المستقبل، من خلال التعبير عن الآراء و نقل الأفكار المختلفة، و يقوم الخطاب على مجموعة من المفاهيم التي تترابط فيما بينها لتعطي مادة فكرية، مرجعية هذه المادة الفكرية مرتبطة بالثقافة السائدة في المجتمع، كما تتأثر بكل خصوصياته، و منه يتم صياغة الأفكار و تداولها في المجتمع وفق ما هو سائد، و يتم التعامل معها من خلال الخطاب الاتصالي الذي يدعم تبادل الأفكار و إنتقالها بين الأفراد، فأساس الاجتماع التواصل و هذه الميزة تتحقق من خلال التخاطب الذي يفصح عن الأفكار و يوضح الرسالة الاتصالية، التي هي محور العملية الاتصالية، حيث يرتبط الفهم الواضح للرسالة الاتصالية لما تُحقق ما يعرف برد الصدى، و هو رد الفعل أو الإستجابة التي تعبر عن التفاعل بين المرسل و المستقبل، من هذا المنطلق الخطاب أصبح يفرض نفسه في الكثير من التخصصات، و يرجع الإهتمام بهذا الأخير كونه أساس فهم النصوص و القضايا و الأفكار المطروحة.

لسان العرب في تعريفه اللغوي للخطاب " يعتبره مراجعة للكلام "¹¹ بين طرفين أو أكثر حيث يتم تبادل للرسائل اللغوية، و تتداخل الشروط اللغوية مع الشروط المعرفية لصياغة الخطاب كمنظومة من الكلمات و الجمل و كرسالة موجهة للطرف المستقبل أو المتلقي، كما لا يتوقف الخطاب عند الحدود اللسانية للجمل، و إنما يتجاوز ذلك إلى المضمون الذي يحوي الفكرة بكل ما تحمل من توجهات، و حتى الجانب النفسي يمكن أن يظهر في مضمون الخطاب، من خلال الربط بين الفكرة و السياق الخارجي، فتظهر نفسية صاحبه و مرجعيته الفكرية، و لهذا فالقيود المرتبطة بالخطاب موجودة على مستوى دلالاته اللغوية و ليست التراكيب النحوية، و لهذا فالمتلقي مجبر على اعتماد وعيه و ثقافته و قدراته على الفهم، لفهم المحتوى الحقيقي للخطاب.

يعرف الخطاب السياسي بأنه شكل من أشكال الخطاب المتعددة، و يستخدم من قبل فرد أو جماعة أو حزب سياسي معين، من أجل الحصول على سلطة معينة عند حدوث أي صراع أو خلاف سياسي، وله أهمية كبيرة تعود على الجهة المستخدمة له، و تكمن أهميته في أنه أداة ضرورية لاكتساب السلطة، و يتم اللجوء له من قبل القوى السياسية المختلفة من أجل الوصول إلى المراكز العليا في السلطة و كسب المشروعية على المحاولات التي تقوم بها الجهة المعنية، يرتبط الخطاب في هذه الحالة بالتطورات السياسية و الاجتماعية و الثقافية القائمة في المجتمع، حيث يصبح الخطاب وسيلة تواصل بمراعاته للواقع الاجتماعي و السياسي، و تكون مهمة التأثير ناجعة، يعرف هذا النوع بالخطاب السياسي حيث يكون موضوعه الأساسي سياسيا، فلغة الخطاب في هذه الحالة تكون في أغلبها لغة سياسية، فرجال السياسة الذين يقومون بإلقاء خطاباتهم أثناء الحملات الانتخابية ملزمون بانتقاء ألفاظهم حتى تتماشى و الواقع الاجتماعي، و كذلك إختيار الألفاظ و الألقاب المناسبة لما لها من أهمية عند الشخص المستقبل، و بذلك تكون خطاباتهم خطابات نفعية براغماتية، حيث يسهل انتقاء المصطلحات لتحقيق التواصل بين المرسل و المستقبل و قد أكدت الدراسات اللسانية ذلك.

تلعب اللغة دورا أساسيا في الإقناع، إذ تعتبر من أقوى العوامل في تقوية العلاقات بين المرسل و المرسل إليه، خاصة اللغة المفهومة من كلا الطرفين، و هي اللغة التي توصل الموضوع بوضوح، لأن الخطاب يكون موجه لكل فئات

المجتمع، كما أن الخطابات تنوع أثناء الحملات الانتخابية و هذا بتنوع الأحزاب السياسية، و تظهر المنافسة بين الأحزاب السياسية من حيث ثراء البرنامج من جهة و قوة التأثير من جهة ثانية معتمدة في ذلك على اللغة كرسالة أفكار و دليل توضيح للمبتغى السياسي، كون اللغة جوهر التفكير، و لا يمكن لهذا التفكير أن يكون منتجا إلا إذا تم صياغته في جمل و عبارات مفيدة، و " الفكرة إذا تحددت فلا بد لها من لفظ يدل عليها أو رسم يحتويها"¹²، يتضح من هذا التعريف أن الفكرة و إن كانت مضبوطة و ذات معالم محدودة فهي مجرة إذا لم يتم صياغتها إلى جمل و عبارات ذات دلالة لغوية و سوسيولوجية، تعكس الواقع الاجتماعي و الإقتصادي و الثقافي إلخ.

الدلالة السوسيولوجية للغة و التي تعكس الواقع الاجتماعي بالدرجة الأولى، جعلت من اللغة كظاهرة اجتماعية أثارت الجدل بالنسبة للكثير من الباحثين، و من أبرز التخصصات التي أخذت من اللغة موضوعا للبحث اللسانيات الاجتماعية و هو تخصص علمي يجمع بين علم اللسانيات و علم الاجتماع و علم السلالات البشرية و علم الجغرافيا البشرية و علم اللهجات، تتحد الكثير من التخصصات و تتقاطع فيما بينها لإعطاء العلاقة القائمة بين اللغة و الأفراد، و بينهما و بين المعطيات الاجتماعية من جهة أخرى، هذا الطرح أعطى اللغة وظيفتها الاجتماعية فهي التي تكون الرابطة الاجتماعية و لا تخضع لأي فرد، يقول دوسوسير " توجد اللغة لدى المجموعة الناطقة بها على شكل آثار مرتسمة في كل دماغ على شكل معجم تقريبا، و تكون جميع نسخها المتماثلة موزعة بين الأفراد"¹³، فهي مشتركة بين الأفراد و خارجة عن إرادتهم.

كما ساهمت اللغة في تقدم الحياة الفكرية و نموها على مر العصور، حيث أمدت الفكر الإنساني بالرموز و حددت له المعاني و مكنته من أداء الأحكام و تخرج الأفكار و تكوين المقدمات و استنتاج النتائج، هذه الميزة جعلت من اللغة تكون محورية في التحليل خاصة لم يرتبط الموضوع بالعلوم الإنسانية عامة و علم الاجتماع بصفة خاصة، أين تظهر كمتغير بارز في التحليل و يظهر ذلك كما أشرنا في السابق في الحملات الانتخابية حيث يتم الإبداع لتحقيق الهدف، من خلال اللغة التي تعطي مجالا واسعا لإنتقاء المفردات و المعاني و العديد من الدلالات التي تعطي للمفهوم قوة في الساحة السياسية، و يكون تأثيرها بارزا لدى الناخبين من خلال كسب العديد من الأصوات، فالرهان القائم بين الأحزاب السياسية يظهر في قوة البرامج المسطرة و أسلوب توجيهها و إيصال فكرتها إلى الجمهور الناخب، حيث يتم التأثير في هذا الأخير من منطلق الدقة في الأسلوب و وضوح اللغة، و يكون ذلك خاضع إلى تحديد دقيق للمفردات و إنتقاء موفق للأفكار التي تسير بالدرجة الأولى الواقع الاجتماعي للمواطن بصفة عامة و الناخب بصفة خاصة،

فهناك مقولة مشهورة ل فولتير " قبل أن نتحدث معي حدد مصطلحاتك"¹⁴. و هذا يوضح أن الحديث سواء كان منطوقا أو مكتوبا يركز على تحديد و ضبط المصطلحات، حيث تتعدد المفاهيم تتداخل و تتناقض مع بعضها البعض حول القضية الواحدة، فالمصطلح في العلوم الاجتماعية يحمل تفسيرات عدة، إلا أن تحديد المفهوم ضروري في البحث العلمي، و كونه يشمل بعض المميزات الثابتة للحقائق الاجتماعية، و معرفة هذه المميزات تسمح لنا بمعرفة الظاهرة الانتخابية و تفتح لنا المجال لدراستها و البحث في الحقائق المرتبطة بها، و بالتالي تمييزها عن باقي الظواهر الأخرى. و تظهر هذه الخاصية في الحملة الانتخابية لما يتم ضبط المفهوم من خلال مطابقته مع الواقع الاجتماعي، يرى Gautier Benoit " أن المفهوم ليس الحقيقة نفسها، لكن بنية ذهنية تشمل بعض المميزات"¹⁵، هذا التعريف يبين نسبية المفهوم في التعبير عن الواقع، و لهذا التركيز على اللغة في صياغة برامج الحملات الانتخابية يبقى مرتبط بتمهارة الفئة التي تسيطر هذه البرامج، كونها تتواصل مع كافة شرائح المجتمع فهي مجبرة على إنتقاء المفردات المناسبة و الهادفة التي بإمكانها إيصال الفكرة و تحقيق الإقناع لدى جمهور الناخبين، منها المفردات التي تمدح تقوم بمدح السياسة، بث التفاؤل و الأمل في المستقبل، التركيز على بنية التماسك و الترابط وفق إيديولوجية

محددة، توظيف البلاغة بهدف التأثير العاطفي، كما يتم التكرار لهذه الكلمات و المفردات من أجل إيصال الفكرة التي يسعى إلى تحقيقها في الواقع، كما يعتبر الجانب العاطفي مجالا خصبا للإستثمار في مشاعر الناخبين، إذ يلعب الجانب النفسي دورا بارزا في التأثير على السلوك الإنتخابي وهذا التيار الأنجلو سكسوني الذي ركز إهتمامه على العامل النفسي والاجتماعي في تفسير السلوك الانتخابي، فهو يربط الإختيار الإنتخابي بالميولات النفسية للناخب. ركز هذا التيار على دراسة الرأي العام و المقابلات المباشرة للتعرف على دوافع المشاركة السياسية للفرد، ومن جل الدراسات التي حاولت معرفة اتجاهات الناخبين أمثال لازار سفيلد LAZARSELD، و بيرلسون BERELSON " من خلال تحليل أئرو سائل الاتصال الجماهيرية على اتجاهات الناخبين أثناء الإنتخابات الرئاسية الأمريكية عام 1940، حيث تبين لهؤلاء أن وسائل الاتصال الجماهيرية لم تكن هي المسؤولة بالدرجة الأولى عن إحداث التغيير في اتجاهات الناخبين و سلوكهم الإنتخابي، و إنما المسؤول عن ذلك عوامل وسيطة أهمها الجماعات المرجعية "16، فوسائل الاتصال أثرت على الجانب النفسي للناخبين عن طريق الأفكار التي تم تسويقها من خلال اللغة الهادفة، إضافة إلى وجود عوامل أخرى للتأثير و تتطلب دقة اللغة لإحياء المشاعر كالزعة القبلية و الولاءات، هذه الظواهر التي يفرضها السياق الاجتماعي تعطي أسلوب الخطاب النفعي ميزة البراغماطية، فالعملية الانتخابية من أجل تحقيق المصلحة تستحضر هذه الولاءات القبلية و العائلية بشكل رمزي، رغم ما قامت به الدولة لتفكيك هذه البنى التقليدية، إلا أن إستدعاءها في موضوع كالإنتخابات مازال له صدى في الساحة السياسية، و يكون ذلك وفق خطة ممنهجة للحملة الانتخابية إضافة إلى الأسلوب الهادف و اللغة الواضحة، السهلة و المفهومة.

يعتمد الخطاب على تطويع كلمات اللغة بشكل يكون أكثر منهجية و بتسلسل منطقي، بإعتبارها وحدة تأثيرية، و يندرج هذا ضمن الوظيفة الإفهامية للخطاب حيث يتم توجيهه إلى المستقبل بهدف حثه على فعل ما، و يكون المستقبل مركز العملية الخطابية بشكل عام، و جوهر العملية الانتخابية حيث توجه له كل الخطابات بإختلاف برامج الأحزاب.

تعتبر عملية تحليل الخطاب مرحلة هامة و معقدة، لا تتوقف عند حدود القراءة اللسانية و النحوية و تراكييها اللغوية، و إنما التعقيد يكمن في التقاطع الواضح بين العديد من العلوم و التخصصات التي تأخذ من اللغة مجالا خصبا للبحث و التقصي عن الحقيقة، كما يفرض كل تخصص مرجعية فكرية خاصة، تتضارب هذه الأفكار كما تتقاطع في الكثير من الأحيان حول القضية الواحدة، لتعطي في الأخير تركيبا معرفيا موحد و متفق عليه، يتم تداوله في شكل خطاب و يسوق إلى الأفراد بإعتماد اللغة الواضحة، تكون للكلمة فيها سلطة من حيث التأثير في الجمهور المتلقي، سنحاول التطرق إلى ذلك من خلال العملية الانتخابية حيث يكون عنصر التأثير المحور الأساسي للمرشح و كل الحسابات تستهدف الناخب محاولة للتأثير فيه و كنتيجة لذلك توجيه السلوك الإنتخابي لديه، و يظهر التأثير واضحا لما يستطيع المرشح لفت الإنتباه عن طريق طرح المواضيع التي تكون في العمق¹⁷، و يتم من خلالها التقرب من كل ما يؤرق الناخب في المجتمع و كل ما يحيط به من قضايا مختلفة.

3- سلطة الكلمة في الحملة الانتخابية:

يعتبر الإنتخاب مقياس الديمقراطية في دولة القانون، كونه يجسد التحولات السياسية التي يكون المجتمع السياسي مسرحا لها و تظهر في قدرة المواطنين على إختيار ممثلهم في السلطة، فالإنتخاب لم ينشأ في بداية عهده بالشكل الحالي الذي هو معروف به الآن بل عرف تطورا كبيرا عبر التاريخ سواء في محتوى مفهومه أو في الأشكال التي طبق بها " فالإنتخاب في جوهره أداة للمشاركة السياسية الشعبية في تسيير الشؤون العامة عن طريق الهيئات التي تنتخب لهذا الغرض سواء على المستوى الوطني أو المحلي، تؤدي هذه المشاركة بالضرورة إلى إثارة منافسة

بين الفاعلين فيها بصفتهم ناخبين أو منتخبيين¹⁸، ونظرا لأهميته في إرضاء معالم الديمقراطية أصبح له فرع قائم بذاته عرف بسوسيولوجيا الانتخاب، يهتم بكل ما يتعلق بالعملية الانتخابية ماديا كان أو معنويا.

أصبح الانتخاب وبصورة تدريجية من المؤسسات الرئيسية في الأنظمة الديمقراطية باعتبارها الوسيلة الأساسية لإسناد السلطة وهذا ما أثبتته السيرورة التاريخية لهذا الأخير، فبعدما كان الانتخاب من حق الأقلية الصغيرة في المجتمع انحصرت في النبلاء والأغنياء وتطور هذا الحق مع القرن التاسع عشر بحيث أزيلت القيود التي كانت مفروضة على شروط ممارسة هذا الحق وتوسع حق التصويت، وشمل كل فئات المجتمع التي تتمتع بالأهلية العقلية والسن القانوني للانتخاب بما فيها العنصر النسوي لما أصبح لهذا الأخير من أهمية في السياق السياسي، كما أثبتت السيرورة التاريخية للانتخابات الأهمية البالغة لهذه الأخيرة في ترسيخ العملية الديمقراطية، حيث أصبحت بصورة تدريجية الوسيلة الوحيدة للإسناد السلطة سواء كان على سبيل التقليد في بعض الأنظمة أو كمبدأ راسخ في بعض الأنظمة الأخرى خاصة الليبرالية منها، كونها تضيف الشرعية على نظام الحكم وتعطي الشعب فرصة المساهمة في صنع القرار، فبحصول المواطن على حقه في الترشح والتصويت، يكون صاحب السيادة والقرار، هذا الحق الذي يظهر من خلاله كمشارك فعال في الحياة السياسية أو العكس.

اتجه العلماء إلى الاهتمام بدراسة الانتخابات كحقل اجتماعي سياسي أي الاهتمام بالعامل الاجتماعي في العملية الانتخابية، كون الناخب - المرشح كائن اجتماعي له خصائصه الاجتماعية التي لها أثر كبير في أدائه، ساهم هذا العلم في تطوير الأنظمة الانتخابية وآليات القياس كما استطاع الاهتمام بدراسة السلوك الانتخابي الذي يعتبر أحد المحاور البارزة لهذا العلم من خلال التركيز على الجانب السلوكي للسياسي، هذا السلوك الذي كان رصيد مجموعة من العمليات تفاعلت فيها عوامل عديدة، أنتجت في الأخير سلوكا تركيبيا لتظافر مجموعة من الاتجاهات والعوامل، هذا السلوك لتوجيهه وفق ما تتطلب الحاجة ومن أجل تحقيق الهدف المطلوب في العملية الانتخابية، ولهذا من أهم العوامل التي يمكن لها أن توجه السلوك الانتخابي، وهي التحضير الجيد للحملة الانتخابية والتخطيط الواضح للبرامج المطروحة.

التحضير الجيد لخطة الحملة الانتخابية من أهم العناصر التي تحدد نجاح أو فشل الأحزاب في الحصول على الأصوات، حيث يمكن للجهة السياسية أن تمتلك رؤية واضحة ومفصلة، ولكن لا يمكنها ترجمة هذه الرؤية إلى رسالة واضحة المعالم، كما يمكن للجهة السياسية أن تمتلك رؤية واضحة ولكنها تفشل في فهم طبيعة المجتمع وطبيعة السلوك عند الناخب، وتعتبر رسالة الحملة الانتخابية أساسية كونها تختلف عن البرنامج الانتخابي، فهي تركز على تحفيز الناخب وإقناعه فهي جملة بسيطة يتم تكرارها طول فترة الحملة الانتخابية، وتعتبر الرسالة الانتخابية مهمة كونها شاملة لكل الإنشغالات وجامعة لكل الظروف التي تؤرق الناخب، وكلما كانت الرسالة مختصرة كلما كانت هادفة وذات مصداقية، وهذا مرتبط بمدى بساطة اللغة المعتمدة ووضوحها، ومرتبط بمدى توضيف المجازات والتراكيب من الكلمات والفكر، وحسن استعمال اللغة والسيطرة عليها مرتبط بفن الكلام حسب بيار بورديو، حيث نعتمد هدف التصويب في الحملات الانتخابية من أجل تحقيق الهدف، " فلتكون الكلمات ذات مقصد وتؤدي نتائجها فلا ينبغي فقط قول الكلمات الصحيحة نحويا بل الكلمات المقبولة اجتماعيا"¹⁹، حيث يفرض السياق الاجتماعي نفسه فلا تقبل الكلمات بصياغتها النحوية الصحيحة إذا عجزت عن توافقها مع ما هو اجتماعي، حيث ترتبط استعمالات اللغة بالشروط الاجتماعية لإستخدام الكلمات، كما يصبح لهذه الكلمات سلطة أثناء الطرح، ليس فقط على مستوى الكلمة وإنما تظهر في ما هو اجتماعي، وترتبط بالمقام الاجتماعي للمتكلم لتحقيق ما يعرف بالتأثير السحري²⁰، والذي يتوقف استعماله على مجموعة من الشروط كي

يعمل الإنجاز الكلامي عمله، فالتأثير السحري للكلمة مرجعته الصياغة الموفقة لهذه الأخيرة من خلال الإسقاط الجيد للدلالة اللغوية على الدلالة الاجتماعية، فتتوافق لغة الفكر ولغة المجتمع بالمعنى المجازي.

فلكل مواطن حق الإسهام في الحياة السياسية، الإقتصادية والاجتماعية، حيث تكفل الدولة حرية الفكر والتعبير عن الرأي بالقول أو الكتابة أو صورة في حدود ما يسمح به القانون، وتعتبر حرية الكلمة المقدمة الأساسية للعملية الديمقراطية، وحرية الكلمة من أرق وأهم حقوق الإنسان، ولما تملكه هذه الأخيرة من وزن في الساحة السياسية، إرتأت الأحزاب السياسية إطلاق شعارات متضمنة مفردات وطنية محاولة لتحقيق مستوى عالي من المشاركة السياسية، وبعض من هذه الشعارات هتفت بها الأحزاب في الحملة الانتخابية تمجد الوطن منها:

- مصلحة الجزائر فوق كل اعتبار.

- خيرات الجزائر... لأهل الجزائر.

- الجزائر..نحو مستقبل أفضل.

كما رفعت شعارات ترتبط بالدستور منها تنقيح الدستور...زيادة الحريات، حيث يمارس الشعار تأثيرا على اتجاهات الناخبين و سلوك الأفراد، حينما يكون قادرا على نقل المعلومات، كما يمكن لهذا التأثير أن يكون أكثر فاعلية إذا اهتم بانشغالات و اهتمامات الفرد في المجتمع، كما يكون لهذا الأخير وقع على الناس و علاقاتهم الاجتماعية، فإجماع الجماعة يمكن له أن يكون كإطار مرجعي لأحكام الأفراد، كما يمكن له أن يكون له وقع نفسي " فإذا أخذنا مثلا الشعار السياسي المستعمل خلال الحملات الانتخابية من قبل حزب حماس " ضد الحقرة " فهذا الشعار هو نتاج عامي مأخوذ من الدارجة الجزائرية، ويعبر إلى درجة كبيرة عن إحساس المواطن البسيط بالظلم الاجتماعي في جميع المجالات"²¹، يتم الإقترب من المواطن من خلال هذه اللفظة التي تملك من السلطة والطاقة التعبيرية ما يجعلها قادرة على إيصال الفكرة وتحقيق الهدف، فسلطة الكلمة تظهر في قوة الطاقة التعبيرية التي تتميز بها، والقدرة على إيصال الفكرة الهادفة والتي تمكن من تحقيق درجة عالية من التأثير، وهنا نلمس الدقة في انتقاء المفردات، حيث يتم إختيار " المفردات حسب ما لها من وقع في النفوس، و ذات دلالة هذا ما يكسبها سلطة تعبيرية على حساب مفردات اللغة الفصحى"²²، حسب التعريف يتم مراعاة الجانب النفسي للناخب أثناء مرحلة الإنتخابات، ولهذا يتم انتقاء مفردات قوية ذات دلالة تعبيرية واضحة تعطيها من سلطة ما يجعلها قادرة على التأثير وتحقيق النتيجة المطلوبة.

و بالعودة إلى تاريخ الجزائر المستقلة نلمس مرحلتين بارزتين مرحلة الأحادية الحزبية و التوجة الواحد تليها مرحلة التعددية، وهي مرحلة الإنفتاح و حرية الرأي والتعبير، حيث ظهر في هذه المرحلة بوضوح وزن الكلمة و سلطتها في السيطرة على المجتمع من خلال السياق الاجتماعي الذي نتعامل معه، والمتتبع لتاريخ الجزائر يجد أن الطرح في مرحلة الحزب الواحد كان مثاليا، حيث كانت كل الشعارات تدافع عن الدولة و تعبر عن إيولوجية واحدة، من بين الشعارات التي كانت سائدة في تلك الفترة " من أجلك يا وطني"، و " شعار جبهة التحرير أعطيناك عهدا"، و مع مجيء مرحلة التعددية بعد الإنسداد الذي عرفه النظام السياسي، أصبح الطرح واقعيًا، من صميم الظروف الاجتماعية الجديدة، كما عكست هذه المرحلة الواقع الاجتماعي و عبرت عن البعد الوطني، و أصبح لها صدى ورؤية كونها عبرت عن ما يجري في السياق الاجتماعي من ظلم وفساد و المشاكل الإدارية..... إلخ.

تميزت الإنتخابات في هذه الفترة أنها كانت من تنظيم الإدارة و الحزب الواحد و أعلنت فيها عن نسب مشاركة عالية من دون إمكانية التحقق من صدق النسب المعلن عنها، حيث كانت الإنتخابات عبارة عن تعبئة شعبية و المشاركة كانت هامشية، فالدولة الجزائرية بعد الإستقلال أخذت الوصاية على الشعب، كما أخذت على عاتقها الفعل

التنموي وهذا ما ساعد من إقصاء الفرد من المشاركة في الأمور المرتبطة بالسياسة، و بعد صدور دستور فيفري 1989 وجدت الجزائر نفسها أمام وضع سياسي إرتجالي نتيجة التسرع في تبني التعددية السياسية لمواجهة الضغط الذي مارسه مظاهرات 05 أكتوبر 1988 التي كرست مبدأ التداول السلمي على السلطة، تزامن التوجه الليبرالي في الجزائر مع الإعتراف الرسمي بالديمقراطية، المرحلة الأولى تطلبت أسلوب واحد للتأثير وهو الوصاية التي أخذتها الدولة على عاتقها من أجل توفير كل متطلبات الشعب في مقابل الرضا عن كل ما تمليه الدولة من قرارات، فلا يظهر دور اللغة بوضوح في هذه الفترة ، على غرار مرحلة التعددية التي برزت فيها الأحزاب وفتح المجال فيها للرأي الحرو الرأي الآخر ، وهنا تطلبت الحملات الانتخابية نوع من التركيز والدقة في التخطيط مسيرة لما يجري في الواقع من مشاكل و تطلعات للشباب نحو المستقبل، و كل الظواهر التي تآرق الفرد في المجتمع بمختلف فئاته الاجتماعية، و كلما كانت الحملات الانتخابية فعالة كلما نجحت في التأثير على جمهور الناخبين ، و تحقيق نسبة عالية من المشاركة يوم الإقتراع و تكون بذلك قد ساهمت في ارضاء معالم الديمقراطية، حيث يعتبر الإستخدام العالمي للانتخابات كوسيلة لإختيار الممثلين من أهم ما وصلت إليه الأنظمة الديمقراطية، كما أصبحت الدول الديمقراطية تصنف على أساس شرعية نزاهة الانتخابات " فالانتخابات بالنسبة لكل نظام ديمقراطي تمثل جانب بالغ الأهمية في الحياة السياسية، إنه فعل يقوم الشعب بمقتضاه و بصورة مباشرة أو غير مباشرة بإسناد السلطة السياسية"²³، كما أصبح التداول على السلطة يقتصر على الإرادة الشعبية أين تظهر الانتخابات كحد فاصل للممارسة السياسية، و بالتالي يظهر رهان الحملة الانتخابية و فاعلية اللغة فيه كوعاء يحمل الأفكار التي تعتمد عليها هذه الأخيرة، فكل ما يتم تسطيره في هذه الفترة يصبح قاصرا إذا لم يقرن بدلالات لغوية معبرة ، فالفئة التي تسطر و الفئة التي تستهلك للفكرة مختلفتين من حيث الثقافة، و هذا الدافع جد قوي للتركيز على اللغة البسيطة و الواضحة لمخاطبة مختلف الشرائح في المجتمع، برغم من الإختلافات و التراتبية التي يعرفها المجتمع، إضافة إلى الصراع الذي يظهر المجتمع في الوهلة الأولى على أنه متجانس، و لكن تظهر و بشكل واضح هذه الأخيرة في الإنتخابات خاصة المحلية و رهانات السلطة المحلية، و مرد الصراع في المجتمع التركيبية الاجتماعية لهذا الأخير و الولاءات التي مازالت موجودة برغم ما قامت به الدولة لتفكيك هذه البنى إلا أن حضورها واضح في مثل هذه الأحداث حيث يتم تنشيطها و إحياء البعد الرمزي لها، كإستعدادات مسلمة و هي طبيعية و موجودة في المجتمع حيث لا يمكن إنكارها، و تأخذ إمتدادها من المرجعية التاريخية للمجتمع الجزائري ذو البنية التقليدية و التركيبية القبلية.

خاتمة

كانت اللغة و لا تزال السبيل الأول في عملية التفكير و التواصل، مما جعلها محورية في إنشغالات الباحثين عبر العصور، فاهتموا بدراسة أصواتها و مقاطعها و كلماتها لينتقلوا إلى تحليل جملها، و مفرداتها محاولة لإدراك دلالاتها المتنوعة، و هذا راجع لأهمية اللغة في حياة الإنسان.

حرصهم المتواصل على كشف أسرار اللغة، دفع إلى تطوير الدراسات اللغوية، محاولة لفهم الظواهر اللغوية، و ما يلحقها من تغيير و تبدل، و هذا ما نحاول التأكد منها من خلال الدور الذي تلعبه اللغة في الحملات الانتخابية ، كونها العنصر الفعال في عملية كسب الأصوات من خلال تحقيقها نسبة عالية من الإقناع، و هذا راجع لمفردات اللغة الثقيلة التي تحمل الكثير من الدلالات الهادفة، و منه يمكن القول أن التخطيط الجيد للبرنامج إضافة إلى اللغة الواضحة و الهادفة يعتبر حملة انتخابية ناجحة إلى حد ما.

ثراء اللغة و تنوع دلالاتها اللغوية و السوسولوجية يجعلها جوهرية في تحليل الظواهر خاصة الظواهر الاجتماعية حيث يفرض السياق الاجتماعي نفسه، و دليل ذلك الحملة الانتخابية أين يتم التركيز على محددات السلوك

الانتخابي من خلال المجتمع الذي يحمل الكثير من التناقضات، فالحملة الانتخابية الناجحة تأخذ من جميع الجوانب المحيطة بالفرد بما فيها الجانب النفسي لتخطيط برنامج قوي و هادف، تحقق من خلاله التأثير الفعلي و مستوى عالي من الإقناع، و كلما كانت الحملة الانتخابية ممنهجة كلما إقتربت من الحقيقة و الواقع، و بالتالي الإهتمام بكل إنشغالات المواطن بصفة عامة و الناخب بصفة خاصة، و يتم التعامل مع هذه الشرائح من منطلق الوسيلة الأساسية للتواصل و هي اللغة في جانبها البسيط و المفهوم، إضافة إلى الوضوح الذي يترك عند الفرد إنطباع المصادقية ، مما يحقق نسبة مشاركة معتبرة في الانتخابات.

الاحالات:

¹ Hugues Cazenaze , les modèles de la communications po. Les cahiers Français, n°258,1992 , p 61-70.

² نبيلة بوخيزة، الاتصال السياسي: نماذج الاتصال السياسي، مجلة الباحث في العلوم الإنسانية و الاجتماعية، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، الجزائر، العدد 15، جوان 2014.

³ عبدوسعد، علي مقلد ،عصام نعمة اسماعيل : النظم الانتخابية، دراسة مقارنة حول العلاقة بين النظام السياسي و النظام الانتخابي ، منشورات الحلبي الحقوقية، بيروت، 2005، ص.27.

⁴ وضاح زيتون، المعجم السياسي، الأردن، دارأسامة، المشرق الثقافي، 2010، ص.47.

⁵ احمد عطية الله : القاموس السياسي ، ط 3 ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، 1968، ص.129.

⁶ بوقربة لطفي، (2002-2003)، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، معهد الأدب و اللغة، جامعة بشار، الجزائر، ص.6، للمزيد من المعلومات أنظر: <https://quran.imamali.net/afiles/books/qraat/14.pdf>

⁷ المسدي عبد السلام ، الأسلوب و الأسلوبية: نحو بديل السني في نقد الأدب، دار الكتاب العربية، تونس، ص.40.

⁸ نحناح محفوظ ، الجزائر المنشودة، دار النبأ، ط1، 1999، ص.26.

⁹ سلطان بلغيث ، مفاتيح مفاهيمية في العلوم الاجتماعية، الجزائر، دار قرطبة، ط1، 2006، ص.أ.

¹⁰ الصواني يوسف محمد جمعة ، اتجاهات الرأي العام العربي نحو الديمقراطية: تحليل نتائج الدراسة الميدانية، قطر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط1، يناير 2014، ص.17.

¹¹ ابن منظور، لسان العرب (1994)، دار صادر.

¹² عبد المنعم عبد العال، طرق تدريس اللغة العربية، مكتب غريب للطباعة، ص.26.

¹³ بوقربة لطفي (2002-2003)، محاضرات في اللسانيات الاجتماعية، مرجع سبق ذكره، ص.7

¹⁴ بلعباس الهواري، المجتمع القبلي المغاربي بين النظريتين الخلدونية و الإنقسامية (دراسة نظرية- تطبيقية مقارنة) مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في علم الاجتماع ، قسم علم الاجتماع، جامعة مستغانم، 2010، ص.15.

¹⁵ Gautier Benoit , recherche sociale de la problematique. à la collecte des données , presse Universtaire de Quebec, 1992.

¹⁶ ساري حلمي ، الجماعات المرجعية و دورها في السلوك الانتخابي: دراسة ميدانية تحليلية في سوسيولوجيا التأثير الاجتماعي، دراسات (أ)، ملحق الجامعة الأردنية، 1993، ص.142.

¹⁷ Dale Caregie, comment parler en public, nouvelle édition, etablie par dorothy carnegie et Didier Weyne, 1992 ;p40.

¹⁸ عبد الوهاب عبد المؤمن ، النظام الانتخابي في التجربة الدستورية الجزائرية : مقارنة حول المشاركة و المناقشة السياسية في النظام السياسي الجزائري، الجزائر، الألفية للنشر و التوزيع، ط1، قسنطينة، 1، 2011، ص.ص.7، 10.

¹⁹ بزاز عبد الكريم ، علم اجتماع بيار بورديو، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، من إشراف نور الدين بومهر، جامعة منتوري ، قسنطينة، قسم علم الاجتماع و الديمغرافيا، 2006-2007، ص.147.

²⁰ بزاز عبد الكريم ، علم اجتماع بيار بورديو، مرجع سبق ذكره، ص.156.

²¹ معي الدين رشيد، الشعر السياسي والثقافي والاجتماعي في الثقافة الجزائرية: دراسة سوسiolinguistic، (2009-2010) جامعة أبو بكر بلقايد تلمسان، كلية الآداب والعلوم الإنسانية والعلوم الاجتماعية، رسالة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه في علم اللهجات، ص، 161..

²² معي الدين رشيد، الشعر السياسي والثقافي والاجتماعي في الثقافة الجزائرية: دراسة سوسiolinguistic، مرجع سبق ذكره، ص، 162.

²³ جان بيار كوت، جان بيار موني، من أجل علم اجتماع سياسي، تر: محمد هناد، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، ج1، 1985، ص 159.